" بسم الله الرحمن الرحيم "

التأثيرات المستحدثه فى المجتمع الريفى وتأثيرها على سلوك الافراد

دكتور
محمد مصطفى حبشى

قضية التنمية والتجارب السابقة :

ان قضية تطوير الريف من القضايا الهامة القديمة التى تناولها كثير من الكتاب والمصلحين بالمناقشة من زوايا مختلفة فى اوقات مختلفة . ومع ذلك فلم يصل فيها احد الى حل شاف مما يجعل اعادة مناقشتها أمرا لازما وضروريا أملا فى الوصول الى حل لها .

ويعود تاريخ الجهود والموجهة الى تنمية المجتمع الريفى فى مفهومها الحديث الى حوالى ٤٥ سنة .. وبالتحديد الى تلك التجارب التى قامت بها الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية فى قريتى المنايل وشطانوف ، وتجربة البنك العقارى فى قرية العجايزه فى أواخر الثلاثينات من القرن الحالى . ثم تبع ذلك الجهود الرائدة التى قامت بها مصلحة الفلاح بوزارة الشئون الاجتماعية بتبنى مشروع المراكز الاجتماعية الريفية وجمعيات الاصلاح الريفى .

ثم قيام وزارة الشئون الاجتماعية برعاية واعادة تنظيم الجمعيات التعاونية الزراعية التى انتقلت اليها مسئولية الاشراف عليها من وزارة الداخلية وقامت وزارة الصحة بانشاء المجموعات الصحية وبعض مشروعات مياه الشرب وعمليات مياه الشرب الصغرى - كما قامت وزارة الزراعة بانشاء الوحدات الزراعية ، ووزارة التجارة والصناعة باقامة بعض مراكز التدريب الصناعى وقامت وزارة المعارف بانشاء المدارس

الريفية - ولا ننسى أيضا المحاولات المبكرة بادخال نظم الادارة المحلية لمرافق القرية بانشاء بعض المجالس القروية - ثم جاء على قمة جهود الحكومه السابقة انشاء المجلس الأعلى لشئون العمال والفلاحين (الذى عرف عند مبدأ انشائه باسم المجلس الأعلى لمكافحة الفقر والجهل والمرض) وقيام هذا المجلس باقامة تجربة الخدمات المتكاملة فى منطقة قرى مركز منوف بمحافظة المنوفية .

هذا ولابد أن نشير أيضا الى عدد من الجهود التطوعية فى التنمية الريفية ونذكر منها بنوع خاص ما قامت به عضوات نادى سيدات القاهرة من جهود بقرية سنديون ، وجماعة خريجات كلية البنات الامريكية بقرية ام خنان ، والقيادة افكرية والدعوة للاهتمام بالتنمية الريفية التى صاحبت انشاء جمعية الفلاح .

ومع قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ اكتسبت التنمية الريفية دعما اساسيا بصدور قانون الاصلاح الزراعى - كذلك فقد تبع انشاء المجلس الاعلى للخدمات العامة البدء بانشاء عدد من الوحدات المجمعة ومراكز الانعاش الريفى - كما صاحب مشروع اقامة السد العالى عدد من المشروعات الريفية الكبرى كاعادة توطين أهالى النوبة ، ومشروع التخطيط الاقليمى لمحافظة أسوان ، وماقامت به مؤسسة استزراع الأراضى المستصلحة من جهود خاصة فى تنمية وتوطين المجتمعات الريفية المستحدثة - هذا الى جانب جهود أخرى بذلت فى ميدان تعمير الصحارى ، وانشاء مديرية التحرير ، ومشروع وادى النطرون والوادى الجديد .

كذلك فقد تم تنفيذ عدد من المشروعات الكبرى كتعميم المياه الصالحة للشرب فى الريف ومشروع مركز التدريب والتنظيم بقليوب، وانشاء شبكة واسعة من الوحدات الصحية الريفية ، والبدء فى انارة القرى بالكهرباء ، والتوسع فى انشاء مراكز تنظيم الاسرة ، وغير ذلك من المشروعات الاقتصادية والاجتماعية ذات الابعاد والاحجام الكبيرة .

ولعل من أهم الأسباب والعوامل التى كانت وراء فشل خطط وبرامج التنمية الريفية فى بعض المجتمعات هو أنه لم يكن هناك اهتمام يذكر بالجوانب السوسيولوجيه للتنمية - فقد كان الشغل الشاغل للمخططين هو كيفية المواءمة بين الحاجات المادية للمجتمع وبين موارده المادية بهدف تحقيق الأهداف الاقتصادية دون أن يتنبهوا الى أن قضية التنمية لها أبعادها السياسية والاجتماعية والثقافية والقانونية والايديولوجية والنفسية الى جانب البعد الاقتصادى .

كذلك يجب أن نتنبه الى خطأ تنخدع به بعض الدول ويجب تجنبه وهو ما يلاحظ من أنها تقتبس أو تنقل نماذج جاهزة للتنمية وكل ما هو مستحدث فى أرقى الدول ومحاولة تطبيقها أو اقحامها على واقعنا الاجتماعى برغم أن نجاح هذه النماذج فى بعض الدول الأجنبية يجعل منها سبيلا مؤديا للنجاح والتقدم داخل أية دولة فيؤدى ذلك فى النهاية الى فشلها سواء من الناحية التنفيذية أو من ناحية مقابلة الحاجات - فكثيرا ما لا تتلاءم التكنولوجيا المستوردة مع طبيعة الدول النامية وظروفها - فتقف الايديولوجيا كعقبة ازاء تكنولوجيا مضادة لواقع المجتمع

المتخلف ـ فليس كل ما هو متقدم فنيا وتكنولوجيا يمكن استيراده ، بل يجب ترشيد عملية الاستيراد عن طريق انتقاء أفضل تكنولوجيا ممكنة تتناسب مع ظروف المجتمع وتتكيف مع ما يصلح له باختيار الافضل طبقا لظروف البيئة وامكانيات البناء الاجتماعى .

هذا باختصار قضية تنمية المجتمع الريفى المصرى والتأثيرات المستحدثة التى حاولت الحكومات المختلفة ادخالها فى القرية المصرية ـ وهى لا شك قضية تعكس الجهد الجاد الذى تم بذله لتطوير المجتمع الريفى ـ وهذه التأثيرات المستحدثة يمكن أن تؤثر على سلوك الأفراد بطريقة مقصودة وذلك من خلال الجهود المقصودة المخططة ـ ومن أمثلة هذه الجهود المخططة والمقصودة حركة المراكز الاجتماعية والوحدات الاجتماعية القروية والمستشفيات والوحدات الصحية الريفية وغير ذلك . أما التاثيرات غير المقصودة أى غير المخططة فتتمثل فى عديد من السمات التى تنتشر لا شعوريا من خلال ممارسة هذه المراكز والوحدات لأنشطتها ـ فنجد أن مثل هذه المؤسسات تؤثر فى ثقافة المجتمع السائدة وفى سلوك أفراد هذا المجتمع بشكل ما ، وهدف هذه المؤسسات هو فى الواقع احداث تغيير فى سلوك الافراد ومقصودة وموجهة ومن ناحية أخرى فان مجرد وجود هذه المؤسسات يحدث تغييرا غير مقصودا قد يتفق مع الهدف من انشائها ـ ومن هنا يهدف هذا البحث الى التعرف على أثر التأثيرات المستحدثة على سلوك الافراد وأساليبها والمعوقات التى تقف أمام هذه التأثيرات .

تنمية المجتمع الريفى :

تتغير المجتمعات الريفية بصفة مستمرة — وقد يكون هذا التغيير الاجتماعى نتيجة قوى داخلية أو خارجية أو محصلة الاثنين معا ، وقد يكون هذا التغيير غير مقصود وقد يكون مقصودا ومخططا له بغرض تحقيق الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية لأفراد المجتمع .

ويعرف " فيرتشيلد Fairchid التنمية الاجتماعية بأنها عملية تغير تشمل مختلف الوسائل والقوى الاجتماعية وغير الاجتماعية Social and Unsocial ويحددها أغلب علماء الاجتماع بأنها عملية التحكم فى البيئة من جهة أو السيطرة عليها وضبط الطبيعة البشرية والعلاقات الانسانية من جهة أخرى — فهو تغيير اجتماعى مقصود يسير فى اتجاه تحقيق بعض الأهداف المتفق عليها (٢) — ومن ثم يمكن القول بأن تنمية المجتمع هى العملية أو مجموعة العمليات المرسومة والمخططة تخطيطا سليما بغرض احداث تغيير اجتماعى موجب داخل المجتمع أو المجتمعات الريفية لتحقيق الأهداف التى يصبو اليها اعضاء المجتمع .

ولقد تعددت المعانى لمفهوم التنمية واختلفت الاراء حول تعريفها أو طرق استخدام وسائلها — ففى بعض المناطق نجد أن التنمية

1- Fairchild Dctionocry of Sociology, See Social Development.

2- Ibid, See Social Progress.

تستخدم باعتبارها وظيفة تقوم بها الدولة أو الحكومة بحيث يتطلب الأمر وجود قسم أو مكتب يختص بشئونها ـ ولكننا نعتبر أن التنمية في المجتمع المحلي أو المجتمعات الريفية لابد أن تقوم على علاقة تعاون متبادلة بين الحكومة والهيئات المتخصصة من ناحية ، وبين الشعب من ناحية أخرى مهما اختلفت صور هذا التعاون المتبادل ـ ولهذا لا تتحقق التنمية عن طريق انشاء قسم أو مكتب يتحمل مسئولياتها الخاصة لأن موافقة المجتمع على التنمية باعتبارها أسلوبا للعمل والانجاز تعترضه قواعد معينة على سلطة الخدمة العامة ومن هذا فان التنمية تتحقق عن طريق الشعب مباشرة ولكن لضمان نجاحها لابد من وجود سلطة ومسئولية .

وتستخدم التنمية من ناحية أخرى لتشير الى الأساليب المستخدمة في بعض صور التنظيم الاجتماعي الفعالة ـ فيقال مثلا تنمية المجتمع من أجل الرفاهية أو الصحة العامة وطالما أن هذه المصطلحات الأخيرة تمس صورا خاصة من الحياه الاجتماعية ـ فان استخدامها على هذا النحو جديرا بأن يلحقها بالتنظيم الاجتماعي بدلا من الحاقها بالتنمية (١) .

ومن التعريفات التي حازت القبول بين علماء الاجتماع والمشتغلين الآن بالتنمية والتخطيط هو التعريف الذي قدمته هيئة الأمم عام ١٩٥٦ الذي يتضمن ان المقصود بالتنمية هو العمليات التي يمكن بها توجيه جهود المواطنين أنفسهم والسلطات الحكومية لتحسين الأحوال الاقتصادية

١ـ محمد عاطف غيث ، علم الاجتماع ـ دراسة تطبيقية ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٧٤ ، ص ١٦٣ .

والاجتماعية والثقافية للمجتمعات المحلية واندماج هذه المجتمعات فى حياة الأمة وتمكينهم من المساهمة كلية فى التقدم القومى (١) .

ويتضمن هذا التعريف مبادىء أساسية هامة يمكن أن نعتبرها الأركان الأساسية لعملية التنمية فى المجتمع الريفى المصرى والتى يجب أن تتوفر فى أى برنامج من برامج التنمية .

المبدأ الأول :

ضرورة استثارة المواطنين عن حاجاتهم واشتراكهم فى مناقشة أولويات مشروعات تنمية المجتمع - كذلك ضرورة مشاركة المواطنين أنفسهم فى الجهود التى تبذل لتحسين مستوى حياتهم وفى مشروعات التنمية وفى كل المراحل التى تمر بها عملية التنمية سواء فى ذلك التخطيط أو التنفيذ .

وعلى الرغم من أن هذا المبدأ يعتبر من المبادىء الجوهرية لايمكن اغفاله الا أن الحكومة تحاول تنفيذ المشروعات الخاصة بالتنمية بنفسها وبدون الرجوع الى أفراد المجتمع الذين سوف يفيدون من ذلك المشروع لاستطلاع رأيهم ومعرفة وجهات نظرهم قبل الاقدام على التنفيذ - وكثيرا ما يؤدى ذلك الاغفال الى ارتكاب اخطاء فادحة تتمثل فى

1- V. N. Popular Porticipation In Development Emerging Trend In Community Development , New york, 1971, p. 6.

التعارض بين هذه المشروعات والعادات والتقاليد السائدة فى المجتمع مما يؤدى الى وقوف الأهالى من المشروع موقفا عدائيا - ولذلك يهتم معظم علماء التنمية بضرورة توعية الأهالى بأهمية المشروع وفوائده - بل أن البعض يذهب الى حد القول بضرورة شعور المواطنين باحتياجاتهم وأن تأتى المبادأة من الأهالى أنفسهم وليست من الحكومة - فالأصل فى التنمية أن يشعر الأفراد بحاجاتهم الى النمو والتقدم والرقى ودون هذا الشعور لا يطلق على العملية تنمية اجتماعية .

المبدأ الثانى :

ان برامج التنمية يجب أن تؤدى فى آخر الأمر الى تحقيق التكامل القومى فاذا كانت مساهمة المواطنين هى المساهمة الهامة فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمع المحلى فيجب أن تتم هذه المشاركة فى اطار الخطة القومية التى تشمل عدد أكبر من المجتمعات الصغيرة - فتنمية المجتمع المحلى رهن بسياسة المجتمع القومى العامة وامكانياتها التنفيذية - ودور المجتمع المحلى فى تجنيد موارده واستغلالها فى حاجاته القائمة دور مكمل للدور القومى فى التنمية ومعتمد عليه بحيث يؤلف معه وحده عضوية متماسكة - ويتمثل ذلك على وجه الخصوص فى برامج التنمية التى تنفذ فى المجتمعات الريفية المنعزلة التى تؤلف مجتمعات مغلقة لها نظمها وعاداتها وتقاليدها وثقافاتها ووسيلة برامج التنمية فى تحقيق هذه الوحدة القومية هو نقل العادات والتقاليد والتراث الثقافى والاجتماعى الذى يسود المجتمع الكبير الى تلك

المجتمعات الريفية المنعزلة .

ويتجلى دور برامج تنمية المجتمع فى بناء القاعدة الاجتماعية وتوسيعها فى المناطق الريفية فيما يمكن أن تقوم به حوافز المبادأة المحلية فى اضطلاح المواطنين بانشاء المدارس والوحدات الاجتماعية والصحية والثقافية والترويحية وتعبيد الطرق وتطهير الترع والمصارف بالجهود الذاتية مما يوفر على الدولة عبء هذه المشروعات وتوجيه الاستثمارات فيها الى النواحى الانتاجية — هذا علاوة على ما للمساهمات الشعبية فى تنفيذ المشروعات الاقتصادية والاجتماعية كانشاء جمعيات تنمية المجتمع والجمعيات التعاونية واتباع ما تعرف به أجهزة الارشاد الزراعى من أثر فى زيادة الدخل القومى — وكذلك تمهيد الطرق للمواطنين وتدريبهم على المساهمة فى تقرير مصيرهم بما يعين على ان تتولد فى نفوسهم الديمقراطيه السليمة — ولا أدل على أهمية المشاركة الشعبية من أن المسئولين عن التربية الاجتماعية يعتبرون مجرد اشتراك الأهالى فى تنفيذ المشروعات هدفا فى حد ذاته (١) .

المبدأ الثالث :

ان تنمية المجتمع ضرورية بالنسبة للمواطنين من الناحية

---

١ — غريب سيد أحمد ، علم الاجتماع الريفى ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٣ حوض ١١٧ — ١١٨ .

التعليمية والتنظيمية ٠

فهى تعليمية لأنها تهتم بتغيير بعض الاتجاهات والعادات والتقاليد التى تكون عقبات أمام الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية فتولد اتجاهات خاصة وعادات تكون باعثة على هذه الاصلاحات وتشجع على تناول التغيير وهذا يدل على أن التنمية هى مقدرة المواطنين على تحديد الأهداف التى يمكن أن يصلوا اليها وتكييف أنفسهم مع التغييرات الواردة من القوى الخارجية ومواجهة المشكلات والانخراط فى العمل الجمعى من خلال مشروعات تعاونية والارتفاع بمستويات الطموح الفردى والمجتمعى — وهذه أبعاد أساسية فى سبيل التوصل الى عملية الانطلاق الذاتى Self Generating Process وهى الهدف النهائى لبرامج التنمية (١) ٠

وهى تنظيمية لأن المواطنين عندما يعملون سويا يكونون أكثر قدرة على متابعة المصلحة المشركة — كما أن ذلك يتطلب اعادة تنظيم المؤسسات القائمة أو خلق أنماط جديدة من المؤسسات مما يؤدى الى فاعلية المساعدة الذاتية وتوفر الاعتمادات الضرورية للخدمات الحكومية ٠

المبدأ الرابع :

ان عملية التنمية بالضرورة عملية شاملة متكاملة تمتزج فيها

2- V. N., Porticipation In Development Op. Cit., P.7.

٢— عبد الباسط محمد حسن ، التنمية الاجتماعية ، القاهرة ، مكتبة وهبى، الطبعة الرابعة ، يناير ١٩٨٢ ، ص ١٩٢ ٠

الجوانب الاقتصادية بالجوانب الاجتماعية - فالتنمية الاقتصادية تجعل التنمية الاجتماعية هدفا من أهدافها حيث انها تستهدف فى المدى البعيد رفاهية الانسان ورفع مستوى معيشته - كما ان التنمية الاجتماعية رغم أنها غاية فى ذاتها - تؤدى الى جانب وظيفتها الانسانية وظيفة أخرى اجتماعية حيث انها تستهدف فى المدى البعيد الى تحقيق أقصى استثمار ممكن للطاقات والامكانيات البشرية الموجودة فى المجتمع (١) .

وهكذا يتضح أن الغاية الأخيرة من برامج التنمية هو الانسان والعمل على اعلاء شأنه باعتبار أن الانسان هو الذى سوف يستفيد فى آخر الامر من تلك المشروعات - ومن هنا كان من الضرورى كما سبق أن ذكرنا الاخذ فى الاعتبار احتياجات أفراد المجتمع و محاولة تحقيقها بقدر الامكان - ويرتبط هذا المبدأ بما سبق ذكره فى المبدأ الثانى من ضرورة مطابقة برامج التنمية للعادات والتقاليد السائدة فى المجتمع .

ويتضح مما سبق أن المشكلة تكمن فى أن التخطيط أسلوب لتغيير النمط السلوكى لافراد المجتمع عن طريق مجموعة من المؤثرات الاقتصادية والاجتماعية - وتتوقف فاعلية التخطيط على محصلة التفاعل بين النمط الذى يستهدفه التخطيط الواقعى لافراد المجتمع .

١- عبد المنعم شوقى ، الاتصال والتنمية الريفية فى المجتمعات النامية ، الحلقة الدراسية العربية ، حوض ١٧١ - ١٨٩ .

وتبرز هنا أهمية العادات والتقاليد السائدة فى المجتمع ودورها الهام فى تكوين الكيان الاقتصادى والاجتماعى والثقافى للمجتمعات فهى القوى الدافعة للسلوك ـ وعملية التنمية تحتاج الى أنماط جديدة تدفع الأنماط السلوكية الى تحقيق أهداف التنمية وتعود بها الى الطريق الصحيح والسلوك السوى والعادات والاتجاهات الاجتماعية هى التى تكون الكيان المعنوى فى برامج ومشروعات التنمية والذى له دور هام فى نجاح الاجراءات المادية وكذلك فى تشغيل المشروعات والبرامج لتحقيق ماهو مستهدف من اقامتها ٠

وهناك مفهوم معنوى للتنمية يعبر عن عملية ديناميكية تتكون من سلسلة من التغييرات الوظيفية والهيكلية اللازمة كبقاء الكائن الحى ونموه فى بيئته ـ وعليه فمحور التنمية هو عملية التغيير التى تحدث نتيجة لتفاعل عناصر الكائن الحى مع عناصر بيئته بطريقة تمكنه من البقاء والنمو فى هذه البيئة (١) ٠

وتطبيقا لمفهوم تنمية الكائن الحى على المجتمع تعرف التنمية الاجتماعية على أنها احداث سلسلة التغييرات الوظيفية والهيكلية

١ـ وفيق أشرف حسونة ، معوقات التنمية الاجتماعية فى الريف المصرى، الحلقة الدراسية لعلم الاجتماع الريفى فى الجمهورية العربية المتحدة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ١٩٧١ ، ص ٣١٧ ٠

اللازمة لنمو المجتمع فى بيئته وذلك لزيادة قدرة أفراده على استغلال الطاقات المتاحة للمجتمع الى أقصى حد ممكن وبطريقة تحقق له أهدافه (١) .

وهذا التعريف يتصور المجتمع على شكل مجموعة من الطاقات المتاحة لأفراده يمكنهم استغلالها بدرجات متفاوته وبطريقة مختلفة لاحداث سلسلة من التغييرات الوظيفية والهيكلية اللازمة لنمو المجتمع .

ويعرف الدكتور عبد المنعم شوقى عملية تنمية المجتمع على أساس :

" انها العمليات التى تبذل بقصد ووفق سياسة عامة - لاحداث تطور وتنظيم اجتماعى واقتصادى للناس وبيئاتهم - سواء كانوا فى مجتمعات محلية أو اقليمية أو قومية ، بالاعتماد على المجهودات الحكومية والأهلية المنسقة على أن تكتسب كل منها قدره أكبر فى مواجهة مشكلات المجتمع نتيجة لهذه العمليات (٢) .

ويعرف التنمية الريفية بأنها العمليات التى يتم عن طريقها تغيير متكامل ومقصود ومرغوب فى المجتمعات الريفية لتحسين ظروف المعيش للفرد والأسرة والمجتمع ولكى يتم هذا لابد من احداث تغيير فى

١- المرجع السابق ، ص ٣١٧ .

٢- عبد المنعم شوقى ، تنمية المجتمع وتنظيمه ، القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق ٠٩٨٠ ، ص ٤٣ .

المواطنين أنفسهم لا فى البيئة المجتمعية فحسب ـ ولكى يتغير المواطنون لابد لهم من أن يكتسبوا معلومات ومهارات واتجاهات جديدة عن طريق التعليم ٠

وهناك استخدام جديد لمفهوم التنمية فينظر اليها على أنها عبارة عن منهج ديناميكى وعملية مستمرة تحدث من خلالها عمليات مختلفة من التعليم والتفكير وتخطيط وتنفيذ أسلوب معين من الحياة ـ ثم التفاعل التعاونى ولا يتأتى كل هذا الا عن طريق التربية تلك العملية الضرورية الهادفة التى تمد الأفراد ومسئولياتهم تجاه المشاكل العامة والمشتركة التى تواجه المجتمع والفرد فى آن واحد ـ الى جانب معرفة كل منهم بموقعه داخل المجتمع ومن أجل هذا يجب أن تطبق التربية على مستوى المجتمع المحلى باعتبارها برنامجا مجتمعيا شاملا يستهدف الوصول الى حلول لمشاكل الفرد فى عالمه العام والخاص ـ وفى هذا الصدد يعد المجتمع برامج تدريبية ينتظم فيها الأفراد باعتبار أن لكل منهم دوره ومسئوليته وحتى يصبحوا فى النهاية عناصر ايجابية تعمل على تطوير البيئة الاجتماعية المحلية وتحقيق أهداف المجتمع العليا (١) ٠

ويتضح من هذا التعريف أن التأكيد على تنمية المجتمع هو تأكيد على تربية وخلق المواطن اكثر منه تأكيدا على عامل التغيير نفسه

١ـ محمد عاطف غيث ، علم الاجتماع ـ دراسة تطبيقية ، مرجع سابق ، ص ١٦٤ ٠

فالتربية ضرورية للوصول الى التغيير الحقيقى للأفراد وبالتالى بالأهمية هنا مرتبطة بالفرد من حيث كيفية تحويله الى عضو مشارك وفعال - يعيش فى مجتمع ديموقراطى أكثر من ارتباطها ببناء المدارس أو المصانع أو انشاء التنظيمات الجديدة .

وعلى ضوء العرض السابق فانه يمكن أن نستخلص هذا المفهوم الذى يقترب من طبيعة البحث فنقول :

" ان تنمية المجتمع هى العملية أو مجموعة العمليات المرسومة والمخططة تخطيطا سليما بغرض احداث تغيير اجتماعى موجه داخل المجتمع أو المجتمعات الريفية واعداد طاقات أفراد المجتمع الريفى بشكل وحجم يمكن المجتمع من زيادة الموارد المتاحة له والاستفادة منها واستخدامها أكفأ استخدام وذلك عن طريق استيعاب الأساليب اللازمة لاحداث هذا التغيير واستعمال الأدوات اللازمة لتنفيذ هذه الاساليب وتطبيقها - بعبارة أخرى زيادة قدرة ابناء المجتمع الريفى على الاسهام فى رفاهيتهم ورفاهية أفراد المجتمع فى اطار المجتمع القومى .

وعلى ذلك يمكن تحديد الأسس بالمبادىء التى تقوم عليها التنمية الريفية كما يلى :

١ - القرية هى وحدة المجتمع الريفى التى يمكن من خلالها أن يقوم أفراد المجتمع اسهاماتهم فى تنمية مجتمعهم حيث أن مدخل التنمية الريفية الحقيقية يتمثل فى مساهمة أفراد

المجتمع - فأحد أهداف النهوض بالمجتمع الريفى هو العمل على مساعدة أهالى الريف المنعزلين ليكونوا مواطنين نافعين يسهمون بطريقة ديموقراطية فى شئون مجتمعهم .

٢- لما كانت التنمية الريفية تهدف الى التغيير فانه من الضرورى التعرف على أنماط العلاقات الاجتماعية السائدة وخصائص النظام الاجتماعى والاقتصادى والسياسى - هذه المعرفة تعين على تجنب صعوبات تعترض تنمية المجتمع تتمثل فى الموقف العدائى أو حتى مجرد الموقف السلبى تجاه مشروعات التنمية فى الريف - رغم ما تبدو عليه هذه المشروعات من فوائد ومميزات .

٣- الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة بالمجتمع الريفى سواء كانت مادية أو بشرية - ويجب أن يعطى التغيير العادات بالتقاليد المعوقة للتنمية نفس الأهمية التى تعطى للوصول الى النتائج المادية فى مشروعات النهوض بالمجتمع الريفى .

٤- يجب أن ترتكز التنمية الريفية على الأنماط والنماذج المحلية التى تتمثل فى ذوى النفوذ من القادة المحليين حيث يمارسون دورا هاما فى التأثير الجماعى داخل مجتمعاتهم المحلية ولذلك يجب التعرف على هذه القيادات وتشجيعها وتدريبها .

٥- الأخذ بالاتجاه التكاملى فى التخطيط على المستوى المحلى بحيث تكون برامج التنمية متعددة الأغراض تتناول الجوانب

الاجتماعية والاقتصادية والصحية بطريقة متوازنة ومتوازية .

٦ — يتعين البدء بالمشروعات التي يحس المرء بالحاجة اليهـــا ولا يتأتى ذلك الا بحصر الاحتياجات الاساسية ومناقشـــة الأهالي فيها لاستخلاص رغباتهم لخلق رأى عام قوى يسانـــد تلك المشروعات ولا يعارضها — فاحساس المواطنيـــن بمسئولياتهم الأولى فى حل مشاكلهم المجتمعية هـــو أول الطريق الى التنمية الاجتماعية .

٧ — التعرف على القيادات النسائية المحلية وتشجيعهـــا وتدريبها باعتبار أن ذلك ضرورة فنية ومالية مع العمل عـــلى اسهام المرأة بشكل مطرد فى تنمية المجتمع الريفى ســـواء بالتفكير فيها أو تنفيذها وتمويلها وذلك بقصد تدريبهـــن واكسابهن الخبرات اللازمة .

٨ — تدعيم الجهود الشعبية والمساهمة الحكومية لسد النقص فى الموارد المحلية .

٩ — الاستعانة بالامكانيات المتوافرة فى التنظيمات الأهلية فى برامج تنمية المجتمع الريفى .

١٠ — البدء بالمشروعات البسيطة التى لا يحتاج تنفيذهـــا الى خبرات فنية عالية وامكانيات مادية كبيرة بقدر ما يحتـــاج الى أيدى عاملة وموارد متوفرة فى البيئة وبحيث تكـــون

نتائجها مضمونة ملموسة الأثر ولا تلقى عبئا على الدولة في تنفيذها .

أساليب التأثير على سلوك أفراد المجتمع الريفى :

بصرف النظر عن نوعيات المشروعات فان الحكومة يمكن أن تؤثر على طبيعة وكمية ما تتعرض له القرية لتنميتها بالأساليب التالية :

الأسلوب الأول : التعرض المقصود لمؤثرات التنمية :

ويعمل هذا الاسلوب عن طريق تعليم القروى من خلال المشروعات التى توجه نحو التجارب الزراعية الجديدة والممارسات الصحية والغذائية الحديثة وتوفير أساليب السوق الجديدة أو التدريب على التنمية المجتمعية أو المهارات المهنية - ويعتمد هذا الاسلوب على الغرض الذى مؤداه أن القروى هو المقتنع والمتأثر بالتغيير - ولذلك يجب أن يتعلم ما الذى يتغير وكيف يتغير - وبدون هذا الاقتناع والتعلم فسوف تستمر الممارسة التقليدية للقروى أو اذا لم يختار أن يعمل الأشياء الجديدة فمن المحتمل أن يختار أردأ الأشياء أو أسوأ الأشياء [1] فعى سبيل المثال كان غالبية المواطنين بالقرية قبل انشاء الوحدة الصحية يهملون فى علاج

1- Murray, Charles A., A Behavioral Study of Rural Modernization Social and Eronomic Change In Thai Village Praeger Publshers. V. S. A. New York, 1977, P. 23.

مرضاهم حتى يتقدم بهم المرض الى درجة يصعب شفائه أو قد يلجأون الى الوصفات البلدية والسحر والشعوذة التى تكون فى تناول أيديهم فى القرية - كذلك كان الأهالى يجدون صعوبة كبيرة فى الحصول على العلاج المطلوب لمرضاهم لاضطرارهم الى دفع تكاليف ماليه كبيرة للانتقال الى الجهات التى يتوفر بها مثل هذه الخدمات - وبعد انشاء الوحدة الصحية تبدأ فى تقديم خدماتها سواء بعلاج المرضى أو بتطعيم الأهالى ضد الأمراض وذلك مما أدى الى الاقلال من معدلات الوفيات ونسبة انتشار الامراض .

ويلاحظ على هذا الأسلوب أن عملية الاقناع والتعليم يمكن أن يقوم بها بعض العوامل الخارجية - كما أن هذا النوع من التأثير موقوت باستمرار عمل هذه المؤسسة الى حد كبير بحيث أن أثرها يكاد يختفى فى حالة توقف الوحدة الصحية عن تقديم هذه الخدمات للمجتمع - فهو فى هذه الناحية تأثير يكاد يكون سطحى لا يؤثر تأثيرا عميقا على ثقافة المجتمع والتكوين الذهنى والعقلى لافراده .

كذلك أن هذا الدور لمؤسسات الخدمات هو الدور الشائع فى أذهان غالبية القائمين على تقديم الخدمات لأنه سهل محدد يمكن قياسه واحصائه بسهولة - فالوحدة الصحية تستطيع أن تذكر فى تقاريرها عدد المرضى وأنواع الأمراض واحصائيات عن العلاج والادوية المنصرفة وكذلك عدد الذين تحصنوا ضد الأمراض بمعرفة الوحدة . . . الخ . مما يسهل عرضه على الرأى العام وعلى رئاستهم .

الأسلوب الثانى : الاقنـاع :

ان أسلوب الاقناع هو شكل من أشكال التأثير بين الأفراد حيـث يحاول فيه الفرد أن يغير من اتجاهات وسلوك الآخر عن طريق المناقشـة Argument والتعليل Reasoning أو فى بعض الحـالات عن طريق الانصات البناء Structured Listining وعادة يكـون الاقناع عملية ذات اتجاه واحد سواء فى العمل أو فى الوسيلة الجماهيرية - أما فى العلاقات بين الأشخاص فى المواقع الطبيعية فهى عموما عمليـة تبادلية حيث يحاول مختلف المشاركين اقناع بعضهم البعض - وغالبـا ما يستخدم الاقناع كوسيلة لتحقيق عملية التنمية سواء من خلال الوسيـلة الجماهيرية أو على مستوى من فرد الى فرد آخر لعلاج البصيرة - ويبـدو ان الاقناع يتلاءم بدرجة كبيرة مع قيمة الحرية - ويتم تنفيذ عملية الاتصال على المكشوف وجميع الفئات والجماعات حرة فى الاهتمام بالمناقشـات - وبعد ذلك تقبلها أو ترفضها ولا يوجد الزام أو اجبار على ممارسة شىء ومـن الواضح أن الاقنـاع .كوسيلة لعملية التنمية حرة تقريبا - ولكن فى نفـس الوقت أن صراحتها الظاهرة تكمن وراءها فى بعض الأحيان جهود ذات تأثير كبير على تغيير الشخصية (١) .

1- Bennis, Warren G. and Others The Planning of Change, Third Edition, Holt Rinehart ans Winston, Inc. V. S. A., 1976, P. 490.

ويعتبر هذا الأسلوب هو أعمق وأهم الأساليب حيث يمكن للمؤسسة أن تقوم به لتحقيق ما يستهدف من أحداث تأثيرات اجتماعية مقصودة بين أفراد المجتمع الريفى — ويتمثل هذا الأسلوب فى عمل المستشفى أو الوحدة الصحية مثلا عندما تقرن الخدمات التى تقدمها للأفراد بعملية تعليمية قائمة على أساس تفاعل اجتماعى بين موظفى المؤسسة وبين المواطنين فمثلا بدلا من مجرد تنظيم الأهالى فى طابور لأعطائهم الحقن أو الأمصال المضادة لمرض من الأمراض فان الطبيب القائم بالحقن يقوم بمجهود تعلميى آخر فى شرح أسباب هذا الحقن والكيفية التى يؤثر منها عن هذا المرض وامكان اتباعه مع غيره من الأمراض الأخرى بحيث لا يقتصر شعور الفلاح على مجرد أنه حقن بل قد اكتسب خبرة ومعلومات ترفع من نوعه الآدمى وتزيد من قدرته على مواجهة مواقف أخرى — ومثل هذا الشخص قد يسعى بنفسه للحصول على التطعيم اللازم ضد الأمراض حتى ولو توقف عمل المؤسسة فى قريته لاقتناعه وايمانه بفائدته وأهميته (١) .

ولا شك أن هذا الأسلوب يتطلب مجهودا اضافيا من جانب القائمين على العمل بالمؤسسة أكثر من المجهود الذى يتطلب مجرد تقديم الخدمات الملموسة — ومثل هذا المجهود لا يمكن تدوينه بالأرقام والاحصاءات فى

---

١ — على فؤاد أحمد ، علم الاجتماع الريفى ، الطبعة الثالثة ، القاهرة، مطبعة القاهرة الحديثة ١٩٦٦، ص ٢٧٣ .

التقارير ـ ومالم يقدر هذا الدور والمجهود الذي يتطلب من جانب الرؤساء فان القائمين بالعمل غالبا ما يتجاهلونه ولا يقومون بتأديته وبالتالي يهملون أخطر وأهم دور للمؤسسة أو مؤسسة الخدمات في التأثير الفعال على أفراد المجتمع لأحداث تغيير اجتماعي في حياتهم وفي سلوكهم .

الاسلوب الثالث : التعرض العرضى لمؤثرات التنمية :

ان مجرد وجود المؤسسات المستحدثة فى القرية يمكن أن يحدث تغييرا اجتماعيا قد يتفق مع الهدف من انشائها ـ وقد يحدث هذا التغيير عفوا دون توجيه محدد ـ فيمكن للحكومة أن تحدد بعض أوجه التحديث فى المناطق الريفية بتغير المدارس والمستشفيات أو الوحدات الصحية وغيرها ـ ولكن عندما تقوم الحكومة بذلك فهى لا تتحكم فى النتائج فهى تساهم فيما يطلق عليه بالتعرض العرضى Incidental Exposure للتأثيرات المستحدثة ـ وهى كل التغييرات التى تعتدى على شعور أفراد المجتمع الريفى بدون قصد حتى تتناسب ظروفه الخاصة [١] .

فمن مجرد وجود الوحدة الصحية فى القرية مثلا قد تحدث

1- Murray, Charles A., A Behavioral Study of Rural Modernization Social and Ernomic Change In Thai Vltage, Op. Cit., P. 23.

عمليات ايحاء وتقليد بين المؤسسة وموظفيها وبين الأهالى ينتج عنه حدوث تغيير فى ثقافة الأهالى ـ فمثلا قد يعجب بعض الأهالى من الشكل المعمارى لمبنى الوحدة الصحية وانخفاض ارتفاع أسقف الغرف فيقلدونه فى مبانيهم ـ أو قد يرى الأهالى الستائر الرخيصة البسيطة التى تستعمل على نوافذ الوحدة فيقلدونها ويستعملونها فى تجميل منازلهم .. وهكذا ـ أو قد يرى الأهالى أحد الأشياء فيستوحون منها فكرة مخالفة الى حد ما يستعملونها فى حياتهم الخاصة دون تقليد مباشر .

ومن هذا الاسلوب يتضح أن مجرد تواجد مؤسسة الخدمات باحدى القرى قد ينشأ عنه تغيير اجتماعى الا أن هذا التغيير الاجتماعى ليس مقصودا من جانب المؤسسة فى أغلب الأحوال وربما لا يشعر القائمون بالعمل فى المؤسسة بدورهم فى حدوثه ـ ومن أجل ذلك يطالب العاملون فى مثل هذه المؤسسات بأن يكونوا قدوة حسنة فى سلوكهم وتصرفاتهم ومظهرهم لأنهم يكونون دائما موضع تقليد من أهالى المجتمع دون أن يشعروا (١) .

الأسلوب الرابع : التسهيلات :

تعتمد بعض استراتيجيات التنمية على تقديم التسهيلات للفرد كى يقوم بتنفيذ اختياره أو اشباع رغباته الخاصة ـ ومن الافتراضات

١ـ على فؤاد أحمد ، علم الاجتماع الريفى ، مرجع سابق ، ص ٢٧١ .

الواضحة فى هذه الاستراتيجيات هو أن الفرد يكون لديه بعض الاحساس بما يريد أن يفعله وتنقصه الوسائل فقط لعمل ما يريده - ومع أن هذه التسهيلات تشبه أسلوب الاقناع حيث يبدو أنها تتوافق بدرجة عاليه مع الحرية المخولة للأفراد الا أنها تستطيع أن تتحرك حتى تتمكن من احداث التغيير .

ويمكن النظر فى مثال من ميدان تنظيم الاسرة وهو ميدان شائع من ميادين تنمية المجتمع الريفى - فاذا كانت هناك امرأة تهتم بحجم اسرتها وهناك مركز محلى لتنظيم الأسرة لديه معلومات باهتمام هذه المرأة ويحاول أن يضع استترتيجية للمساعدة فيما يلى امكانيات التسهيل التى يمكن أن تقدم لتلك المرأة والتى تبدأ من الامكانيات الأقل تأثيرا الى الامكانيات الأكثر تأثيرا فى احداث التغيير :

١ - أن تقدم للمرأة معلومات كافية عن امكانيات منع الحمل وان يحثها بشدة لتحديد حجم اسرتها - بالأضافة الى ذلك أن لديها صورة معينة عن منع الحمل فى عقلها (الحبوب مثلا) وينقصها فقط وسائل الحصول عليها - عند ذلك يعتمد برنامج التنمية على التوفير المنتظم لحبوب منع الحمل وهو مثال لهذه التسهيلات .

٢ - اذا كانت المرأة تعرف عموما امكانيات منع الحمل وقد تم حثها بشدة لتحديد حجم أسرتها ولكنها لا تستطيع أن تقرر

أى وسائل منع الحمل تتناسب مع حالتها فان برامج التنمية تقـــوم على أساس :

أ ـ توفير الارشادات عن مميزات وعيوب الطرق المختلفة لتنظيم الأسرة ٠

ب ـ مساعدة المرأة على اتخاذ قرار عن الوسائل الأكثـــر ملائمة مع حالتها ٠

جـ ـ توفير الأدوات والخدمات اللازمة لتنفيذ اختيارها ٠

٣ ـ اذا كانت المرأة قد تم حثها بشدة لتحديد حجم اسرتهـــا ولكنها لا تعرف كلية أى شىء عن احتمالات منع الحمـل ـ والطريقة الوحيدة فى تلك الحالة هى النصائح الاكلينيكيـة (وسائل داخل الرحم) ـ وتتضمن هذه الاستراتيجيـــة التسهيلات ولكن مع عناصر علاجية واقناعية أقوى من الحالة السابقة ٠

٤ ـ تشعر المرأة شعورا غامضا بأن لديها عديد من الأطفـــال ولكن لم يتم حثها حثا قويا للاقلال من حجم أسرتها وليـس لديها آية معلومات عن منح الحمل ـ عند ذلك يقوم المركـز بترتيب زيارة لمنزلها بغرض زيادة مستوى الدافع لديها ـ ويتم ترجمة اهتمامها الغامض الى عزيمة ثابتة لممارسة منـع الحمل مع تقديم الانتقالات المجانية الى المركز المحـــلى لتنظيم الأسرة وتقديم خدمات أخرى هى فى حاجة اليها لزيادة دوافع التغيير ٠

وبالرغم من وضوح التسهيلات فى المرحلة الأخيرة من هـــــذا البرنامج فانها تتضمن أساسا أما العلاج أو الاقناع ـ بمعنى أن البرنامـج يتطلب الاقناع أولا قبل تنفيذ التسهيلات الواقعية .

الأسلوب الخامس : القسر للتأثير على سلوك الأفراد :

يحدث القسر أو الاجبار عندما يقوم شخص أو جماعة باجبار شخـص آخر أو جماعة أخرى على القيام بعمل ما أو منعه من القيام بهذا العمـــل وذلك تحت التهديد بالحرمان الشديد ـ وقد أضاف ـ الفلاسفة العديـد من الصفات على هذا التعريف ـ وغالبا ينشأ القسر فى موقفين :

الأول :

عندما يريد فاعل القيام بعمل معين أو يجب أن يقوم بهـــذا العمل فى غضون الأحداث العادية ولكن يجبر على الامتناع عـن القيام بهذا العمل عن طريق الوسائل الجسدية أو الحرمـــان الشديد .

الثانى :

عندمايرغب فاعل فى عدم القيام بعمل معين أو لا يجب فى العادة أن يقوم بهذا العمل ولكنه يقوم بعمل ذلك فى الواقـــع بسبب الاكراه على ذلك أو بسبب تهديد فئة أخرى له .

ومن الصعب أن نصل الى تعريف محكم للتهديد Threat

أو الحرمان Deprivation ولكن أساسا يشيرون الى فقد مصالح قيمة عاليه مثل حياة الفرد أو وسائل المعيشة ٠

ويجب التمييز بين القسر وبين الاذعان أو الرضوخ الذى يحدث من خلال اطار السلطة الشرعية ـ بمعنى أن قوانين الضرائب مثلا ربما تكون نوعا من الاجبار من حيث انها تجعل المواطنين يسلكون بطريقة لا يفضلونها ويفعلون ذلك تحت تهديد العقاب ـ ولكن درجة استجابة الأفراد للقانون لا يكون فى سلوكهم أى اجبار أو قسر ٠

ويشكل القسر جزءا متكاملا للعديد من برامج التنمية فى المجتمعات الريفية ـ ومن الأمثلة الواضحة على ذلك المصادرة الفورية للأرض فى برامج الاصلاح الزراعى حيث يتم تدعيم الاجراء الحكومى باستخدام القوة معأولئك الذين لايمتثلون لهذه الاجراءات بالطرد أو السجن ـ وأن قبول الحق الشرعى للحكومة لتنفيذ مثل هذه البرامج يكون عادة قليلا ـ وهناك أمثلة أخرى تدور حول حدود الاجبار والاقناع ـ فعلى سبيل المثال كان هناك اقتراحا بأن تحاول الحكومة تحديد النسل بفرض ضرائب أعلى على الأسر التى تنجب أكثر من اثنين أو ثلاثة أولاد أو حرمانهم من المزايا الاجتماعية مثل مجانية التعليم والرعاية وا لتأمين الصحى ـ فمثل هذه البرامج تعتبربرامج قرية اذا كان التهديد بالحرمان يتضمن مصالح قيمه عاليه أو اذا تضمن التهديد ظلما كبيرا ومن ناحية أخرى اذا كان الثواب والعقاب بدرجة متوسطة فانه يمكن اختيار

وسائل عملية للتنمية أما علاجية أو اقناعية طبقا للظروف ٠

ويمكن أن نشير الى موقفين تتحدد منهما الأساليب القسرية للتأثير على سلوك الأفراد لتحقيق عملية التنمية :

الموقف الأول :

هو التهديد الخطير للقيم الاجتماعية الأساسية ـ ولذلك فان البرامج القسرية لتحديد النسل غالبا ما يوصى بها على أساس أن الخصوبة الزائدة تعرض استمرار بقاء الجنس البشرى فى خطر ٠

الموقف الثانى :

هو الحاجة الى الرقى بالعمل الايجابى لتحقيق أهداف برنامج التنمية حتى ولو لم يكن هناك تهديد للقيم الاجتماعية ٠

وفى الحالة الأولى نجد أن التبرير الأخلاقى للاجبار أو القسر يتطلب من عامل التغيير أن يوضح التهديد للقيم الاساسية وان هناك تنبؤات سريعة فى النطاق السكانى كالكوارث توضح للشعب مع بعض البراهين المؤيدة لذلك ـ وان الفهم الصحيح للخطر الواضح والحالى يبدو اختيارا مناسبا لأى اقتراح للقسر حتى لو لم يتم تبريره بعد ذلك ٠

وفى الحالة الثانية فان القسر عادة ما يرتكز على التقويم الشخصى للنظام المشار اليه ـ فان أولئك الذين يوافقون على نظام معين سوف يؤيدون على وجه العموم استخدامه للقسر لتحقيق سريع لعملية

التنمية - أما أولئك الذين يعارضون هذا النظام فسوف يرفضون أساليبه القسرية .

الركائز الأساسية التى تستند اليها التأثيرات المستحدثة :

يتضح من العرض السابق لأساليب التأثير على سلوك الأفراد فى المجتمع الريفى أن الأساليب المرتكزة على القسر أو القهر لا تحدث آثارها الايجابية ولا تجدى فى كثير من المواقف الا فى اثارة أنواع من الصد المستتر والشك فى مصادر السلطة وممثلها لأنها لم تأت من داخل المجتمع ووحداته الجماعية المحلية - كما أن التأثير على سلوك الأفراد وأفكارهم يجب أن يعتمد على مؤثرات تخاطب نفس الملكات - سواء فى ذلك العقلية أو الروحية أو العاطفية - بنفس أدوات التأثير التى تركت بصماتها عليها - ومن هنا فان للتأثيرات المستحدثة فى المجتمع الريفى ركائز وعناصر أساسية تستند اليها وتؤثر فى أساليبها ووسائل تحقيقها وأهم هذه الركائز ما يلى :

أولا : لما كانت عملية التنمية عملية تغيير وتغير اجتماعى فهى لا تتم فى فراغ فكل تغيير يحدث يصاحبه تغيرات فى مختلف الجوانب فى المجتمع ويتوقف ذلك على مدى قبول التأثيرات المستحدثة وما يحدث من تغيرات .

وتواجه هذه العملية ردود فعل من جانب البيئة الثقافية والاجتماعية تكشف التفاعل القايم بين العوامل

الثقافية والاجتماعية والسيكلوجية والطبيعية - وردود الفعل هذه أما أن تكون معوقة لهذه التأثيرات أو مساعدة لهـــا • ففي كل مجتمع من المجتمعات عوامل تعمل على اضعـــاف العلاقات القائمة بين الأفراد والجماعات فهي عوامل لعـــدم التماسك والتضامن في المجتمع • وفي الوقت ذاته توجـــد النظم الاجتماعية التي تخفف من حدة هذه العوامـــــل وفاعليتها •

لذلك فمن المهم التعرف على ظروف المجتمع ومعرفة مكوناته الثقافية حتى تتفادى التأثيرات الكثير من العقبـــات في تحقيق الأهداف • ويتطلب ذلك أن يوضع في الاعتبـــار الاتجاهات السائدة والقيم والتقاليد والمعتقدات لانها أقـــوى المكونات الثقافية معاونة للتغيير والتجديد • فنجـــــاح التنمية في تحقيق أهدافها أو عدم تحقيق ذلك يتوقف عـــلى درجة تجاوب مكونات الثقافة التقليدية مع التأثيـــــرات المستحدثة وكلما كانت هذه التأثيرات ملائمة ومتفقة مـــــع المكونات التقليدية المحلية كلما ازداد قبول الأفراد لهـــا وبالتالي يسهل اندماجها في ثقافتهم •

ثانيا : اذا كانت التأثيرات المستحدثة قد ساعدت كثيرا عـــــلى التغلب على معوقات المنشطات الأجتماعية للعمل بكفـاءة

وبما أتت به الوسائل التكنولوجية من مستحدثات العلم في هذا المجال ، فان عوامل الثقافة من قيم ومعايير ومعتقدات وغيرها مازالت تمثل عائقا رئيسيا في هذا المجال خاصة في مجال القطاع الريفي بالذات ، واذا كان من الملاحظ أن الضبط الداخلي عند الريفيين أقوى من الضبط الخارجي ، فان من واجب القائمين على تنفيذ سياسات التنمية الاجتماعية أن يعملوا على تطوير وسائل الضبط الداخلية بحيث لا تقف العادات والتقاليد الاجتماعية ضد التأثيرات المستحدثة بما يمنع جمودها وتخلفها مسايرة للزمن الذى تعيش فيه ولعملية الانتشار الحضارى ـ الداخلى منها والخارجى ـ التى تتعرض لها المجتمعات فى فترات حياتها المختلفة .

ثالثا (١) : ان المجتمعات الريفية لا يمكن أن تكون بمنأى عن تأثير التأثيرات المستحدثة وذلك بفضل سهولة وسائل التواصل المادى والفكرى . ونعنى بالتواصل المادى هنا أساليب الإنتقال الالى بشتى أنواعها أما التواصل الفكرى فنعني به انتقال الافكار والأخبار بل الآراء والمعتقدات والمستحدثات

١ـ محمد طلعت عيسى ، التنمية الثقافية فى المجتمعات الريفية ، مرجع سابق ، ص ٢٨٨ ـ ٢٩١ .

بشتى صورها • ولهذا فان تخطيط التنمية الاقتصادية فى المجتمعات الريفية ينبغى ألا يتجاهل أثر الشائعات السوداء والمؤثرات المضادة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ينبغى ألا تخطط برامج التنمية الثقافية على قصور الفراغ الفكرى أو ضحالة المحتوى الثقافى للانسان الريفى بصوره تهبط مقومات اعتبار الذات خاصة تلك التى تتصل بالاتجاهات والميول والاذواق والمسالك الذاتية فى دائرة التصور والتفكير والعمل • فالانسان الريفى يحمل تراثا ثقافيا وأخلاقيا ينقله بأمانة ووفاء من أجداده وأسلافه الى أبنائه وأحفاده ، وهو لا يقاوم التغيير والتجديد ـ فى ذاته ـ لتخلف ثقافى أو حضارى فى تكوينه أو فى استعداداته •

وهنا اساءة الى القيم الريفية فى التخطيط الثقافى اذا ما نظرنا الى المجتمعات الريفية على أنها تعانى تخلفا ثقافيا بصورة شاملة ، ان هذا الاسلوب فى قياس الانسان الريفى بمقاييس الانسان الحضرى غير المنتمى أو تقييم عادات وأفكار ومعتقدات الأسرة الريفية بمقاييس الأسرة الحضرية ـ التى فقدت مع التحضر الكثير من قدرتها أمر لا يتفق مع الموضوعية العلمية ولا مع المنهج التقريرى لعلم الاجتماع • وانما ينبغى أن تقوم التنمية الثقافية على أساس

شكل ولون التيارات الفكرية والعقائدية السائدة فى كل منها .

رابعا : يقتضى الأمر التمييز بين العادات الجمعية كأداة ضابطة، وبين العادات الفردية كظواهر واقعية لسلوك الفرد وان كان هناك تداخل واضح بينهما . فالفرد بعد أن ينتقل من محيط أسرته الى المجتمع الخارجى يأخذ عنه كثيرا من العادات الجمعية ، حيث تتسع شبكة العلاقات الى درجة التعقيد الذى تتميز به طبيعة الحياة الخارجية للانسان ، وقد يؤدى هذا الى وجود تعارض بين النزعات الشخصية الفردية وبين مقتضيات العادات الجمعية ، الا أن مجالات هذا التعارض تتناسب تناسبا طرديا مع حضارة المجتمع وتعقد بنيته ومورفولوجيته ، حيث يصطدم الفرد فى المجتمعات الكثيفة ديموجرافيا لسلسلة متلاحقة من القواعد الضابطة نتيجة لتعدد أنسجتها وأجهزتها ومؤسساتها وتنظيماتها الاجتماعية وما ينتج عن ذلك من تعقد العلاقات الوظيفية للأفراد . ومن ذلك يظهر أن لسياسة التنمية الاجتماعية وظيفتين :

الأولى : هى ما تأتى به من أجهزة وآليات والأخرى : هى تغيير الأنماط التى تحكم سلوك الأفراد . وعملية التغيير هذه أما أن تأتى بطريقة مباشرة حيث تكون وسيلتها الأرغام

والضغط اعتقادا بأن مقننات سياسة التنمية الاجتماعية من المشروعات هى الأمثل ولهذا يجب أن يأخذ بها الناس- ومن هنا يعتبر كل ما يقف فى طريق تطبيقها عقبة يجب ازالتها أو اخضاعها لتحكمها باعتبارها معوقا للتنمية ، وهذه النظرة قد تكون فى حد ذاتها معوقا لأحداث التغيير الشامل ومن هنا يكون الاهتمام بوسائل الاقناع والنشر دون الاهتمام بمبدأ الممارسة الفعلية حيث يكون من الاجدى الاستعانة بالطريقة غير المباشرة التى تستلزم اشراك أفراد المجتمع عند رسم مشروعاتهم وعند بناء الهياكل المادية والتنظيمية لهذه المشروعات مما يحثهم على التعامل معها - ومن هنا تكون الممارسة هى الوسيلة لتحقيق السلوك المرغوب .

خامسا : ان أى محاولة للتنمية الثقافية فى أى مجتمع من المجتمعات الريفية ينبغى أن تركز على فلسفة الترابط الكامل بين انسان هذا المجتمع وترابه وحيوانه فأى محاولة لتعديل الأفكار والعادات والتقاليد التى توجه الى الانسان الريفى يمعزل عن العناصر الأخرى التى تشكل نمط الحياة ومعوقاتها انما تحطم الحلقة الأساسية فى التنمية الريفية - فاذا أخذنا الانسان فانما نعنى به الوحدة الأساسية فى الجماعة المحلية ونواتها الحقيقية وهى الأسرة ، فالوحدات الانسانية هى

الوحدات الأسرية والعشائرية أو القبلية - فالانسان الريفي - موضوع التنمية الثقافية - يمثل وحدة عضوية وروحية يدور حولها النسق الاجتماعي التي تشكله طرق التفكير المشتركة وتظهره في بوتقة متجانسة روابط الدم أو الجوار فهذه الوحدات الانسانية الأساسية هي بمثابة جسم اجتماعي يتميز كل منهما عن الأخرى في اطار النسيج الاجتماعي العام سواء كان ذلك في المستويات المحلية أو الاقليمية أو القومية أو العالمية - فالانسان الريفي الذي نقصده هو الانعكاس البشري الحي للتفاعلات الجماعية والمجتمعية من جهة وهو وليد التفكير الجماعي الارادي داخل النسق الاجتماعي الذي يشكل حياته الجماعية من جهة أخرى - وعلى هذا فان التأثير الثقافي في هذا الانسان لابد وأن يأتي من داخل وحداته الجماعية المحلية (١)

ومن هنا يمكن القول على سبيل المثال بأن كثيرا من مظاهر الصد الذي يتمثل في فشل مشروع تنظيم الأسرة في المجتمع الريفي انما ترجع الى فصل الانسان عن ترابه الذي يحس بالانتماء اليه ، والذي تربطه به روابط روحية ومادية في الوقت ذاته . ولذلك لا يمكن أن تجدي آية محاولات لتنظيم

١- المرجع السابق ، ص ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

الأسرة فى المجتمع الريفى بعيدا عن الوظائف الاجتماعية من زاوية والمحتوى الثقافى للأسرة الريفية من زاوية أخرى ونعنى بالوظائف الاجتماعية كل ما يرتبط بالنظم الدينية والاقتصادية والعائلية والسياسية فى المجتمع الريفى • كما نعنى بالمحتوى الثقافى مجموعة القيم والمعايير التى تحكم السلوك الأسرى من جهة والعلاقات الأسرية من جهة أخرى •

والواقع أن تنظيم الأسرة كنموذج للتنمية يرتكز فى أساسه على التنمية الثقافية بوجه خاص ولا يمكن احداث أى تعديل فى شئون الناس الذاتية الا بارادتهم الحرة الطليقة القائمة على الرغبة فى احداث هذا التعديل ـ ولما كانت أهداف هذا التغيير فى ذاتها ليست ملحة بالنسبة للانسان الريفى الذى يرى فى زيادة نسله موردا فان وسائل هذا التغيير سواء أخذت شكلا علميا باستخدام موانع الحمل المختلفة أو شكلا اراديا بالامتناع المنظم لا يمكن أن تدخل فى اطار بنائه الفكرى وتشكيله الأخلاقى وتراثه الدينى بأى صورة من الصور •

كذلك فان المرأة الريفية وهى أيضا ذلك الانسان الريفى ـ لن تتحول عن اعتقادها الراسخ فى أن قيمتها فى المجتمع الريفى تقاس بعدد الأطفال الذين تنجبهم الأسرة وأن

مكانتها فى مجتمعها المحلى من داخل جماعاتها الأسرية من جهة أخرى • كما أن الطلاق يهدد المرأة فى آية لحظة ـ كما أن الزواج بأخرى بحثا عن الابناء أوسعيا وراء الذكور منهم ـ خاصة ـ لايمكن اغفالها فى أى تخطيط للتنمية الثقافية فى المجتمعات الريفية •

ان طبيعة الأرض التى تحتاج الى من يفلحها ـ ومستلزمات البناء الأسرى القائم على فكرة العصبية كلها عناصر هامة فى فهم ماهية الترابط الكامل بين الانسان وترابه وحيوانه فالانجاب فى ذاته نعمة يمنحها الخالق لمخلوقاته وهكذا يراها الانسان الريفى فى خبراته مع أرضه وماشيته وطيوره التى تسعى الى زيادة نمائها وخيراتها • فلماذا تعتبر بالنسبة له نعمة ينبغى أن يمنعها بتدخله الارادى ـ ومن ناحية أخرى فان جانبا كبيرا من القدرية التى التى يتحكم تفسير وتفكير الانسان الريفى نجد لها ما يدعمها من واقع حياته التى تمثل فيها علاقاته الزواجية عنصرا هاما وحيويا ـ حيث يغلب الترويح الداخلى وتتفاعل فى حدودها انشطته القائمة على الرضا بما هو قائم واستلام لمعطيات الخالق بل والتطلع الى مزيد من النمو الأسرى المباشر دون أن يربط ذلك بعناصر التدبير والرويه والتعقل التى تسيطر على مظاهر عديدة من حياته المعيشية المختلفة

وهكذا فان محاولات التغيير الثقافى والأخلاقى لتحويل الأسرة الريفية عن تلقائيتها الانتاجية فى الانجاب لا يمكن أن يثمر الا اذا تعدلت احتياجات الاسرة الريفية عن طريق التجربة الملوسة أهداف ومتطلبات هذا التدخل وحدوده أيضا .

سادسا : ان التأثيرات المستحدثة فى المجتمعات الريفية تتطلب تنمية الوحدات الأساسية وتمكينها من الأحساس بمستلزمات التغيير - هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يمكن القول بأن تحويل الناس من عاداتهم وتقاليدهم وأنماط حياتهم وخاصة فى المجتمعات الريفية لابد أن ترتكز على الأنماط والنماذج المحلية التى تتمثل فى ذوى النفوذ من القادة المحليين حيث يمارسون دورا هاما فى التأثير الجماعى داخل مجتمعاتهم المحلية .

هؤلاء القادة من الأفراد ، الا أنه فى جوهره يتم عن طريق النماذج الجماعية المنبثقة عن تأثير الأفراد . فهذه التشكيلات الجماعية هى التى تصبح فى الواقع مركزا للاشعاع الثقافى ومن ثم الأدوات الحقيقية لفاعلية التأثيرات المستحدثة فى المجتمعات الريفية .

" المراجـع "

أولا : المراجع العربيـة :

— عبد المنعـم شوقـى : تنمية المجتمع وتنظيمه ، القاهرة ، مكتبـة نهضة الشرق ، ١٩٨٠ .

الاتصال والتنمية الريفية فى المجتمعـات النامية ، الحلقة الدراسية العربية .

— على فـؤاد أحمـد : علم الاجتماع الريفى ، الطبعة الثالثـة ، القاهرة ، مطبعة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٦ .

— عبد الباسط محمد حسن : التنمية الاجتماعية ، الطبعة الرابعـة ، القاهرة ، مكتبة وهبى ، ١٩٨٢ .

— غريب سـيد أحمـد : علم الاجتماع الريفى ، الاسكندريـة ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٣ .

— محمد عاطف غيـث : علم الاجتماع ، دراسة تطبيقية ، بيـروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٧٤ .

— محمد طلعت عيسـى : التنمية الثقافية فى المجتمعات الريفيـة ، الحلقة الدراسية لعلم الاجتماع الريفى فـى الجمهورية العربية المتحدة ، المركز القـومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ١٩٧١ .

— وفيـق أشرف حسونـة : معوقات التنمية الاجتماعية فى الريف المصرى ، الحلقة الدراسية لعلم الاجتماع الريفى فـى الجمهورية العربية المتحدة ، المركز القومـى للبحوث الاجتماعية الجنائية ١٩٧١ .

ثانيا : المراجع الأجنبية :

- Bannis, Warren G., and Others, The Planning of Change, Third Edition, Holt, Rinehart and Wnston, Inc., U. S. A., 1976.
- Fairchild Dictionary of Socilolgy.
- Murray, Charles A., A Behavioral Study of Rural Modernisation-Social and Economic Chage In Thai Villaye Praeger Pulilishers, U. S. A., New York, 1977.
- U. N., Popular Pociticipation In Development, Emerging Trend In Community Development. New York , 1971.